أَثَرُ التَّعْبِيرِ القُرْآنِيِّ فِي النُّصُوصِ العَلَوِيَّةِ

عادل عبد الرحمن البدري
مجمع البحوث الإسلامية
مشهد – ايران الاسلامية

فحوى البحث

بحث لغوي مقارن، عرض فيه السيد الباحث لاستعمال الامام علي مفردات، وردت في القرآن الكريم بمعناها ومبناها في خطبه التي رويت في نهج البلاغة.

وقد قدم للبحث بمقدمة عرض فيها لاسلوب الإمام علي ابن ابي طالب في خطبه، ثم اختار طائفة من المفردات اللغوية التي استعملها الامام بالمعنى نفسه الذي يقابها في القرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على النبيّ المصطفى العربيّ الهاشميّ الأبطحيّ التهامي، وعلى آله الأئمّة الأبرار، وعلى صحبه المنتجبين الأخيار. وبعد، فليس من شكّ في أنّ التعبير القرآني هو أرفع الكلام وأبلغه على الإطلاق، وقد بهر العرب وأعجزهم، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، فهم مهروا في فنون الكلام وتركيبه في التعبير عن أفكارهم وعواطفهم وأحاسيسهم، وفي نقل تفصيلات حياتهم اليومية، وحتّى معاركهم وحروبهم، مع مافيها من آثام ومظالم، فقد جاءت تعابيرهم وجملهم التي صاغوها بها مسحة من الصدق والجمال الأخّاذ، ربّماكان ومازال يثير إعجاب دارسي الأدب ونقّاده، فتفننوا بفنون من الكلام البديع في الشعر والأمثال والحكمة والخطابة وغيرها. وهذا الإبداع الرائع الذي عرف به العرب-رغم جاهليتهم[1] الدينية، حيث أنّهم لم يدركوا أسرار التوحيد، فتاهوا في وثنية حسّنتها لهم وساوس الشياطين الذين صدّوهم عن عبادة الواحد القهّار- عبّر عن إدراك عقلي وأدبي، وذوق رفيع في تركيب الكلام وانتقاء مفردات رشيقة موسقة، وبالإضافة إلى ما في كلامهم من جمال وموسيقى، ربّما نجد أنّ هناك إيحاءات قد تكون كثيرة وقويّة تترشّح

(١) المعروف أنّ مفهوم الجهل والجاهليّة يطلق على ماهو خلاف العلم والمعرفة والإبداع الفنّي والأدبي، وهذا لايعني أن إطلاق مصطلح الجاهليّة على الفترة التي= =سبقت البعثة النبويّة المباركة يعني الفقر العلمي والثقافي والأدبي للعرب في تلك الفترة، وإنّما هو وصف للحالة التي كان عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين، وما عليه العرب من المفاخرة بالآباء والأنساب، والكبر والتجبّر، وغير ذلك. ينظر مجمع البحرين ٥: ٣٤٦ (جهل). وقد رسّخت هذه التسمية النصوص القرآنية، وكما جاء في قوله تعالى﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[سورة آل عمران: ١٥٤]، وقوله ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٥٠]، وقوله ﴿ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[سورة الأحزاب: ٣٣]، وغيرها من الآيات التي وصفتهم بالجهل الاصطلاحي. وأقوى عامل يظهر ويبرز للباحثين في سبب توكيد تسميتهم بالمصطلح الجاهلي هو الشرك الذي غلب عليهم، والعكوف على الأصنام والأوثان التي غزت أرض العرب.

من الجملة التي صنعوها، إلاّأنّ البراعة الأدبية والبلاغية التي كانت لديهم، في الإيجاز والإشارة والكناية والمجاز وغير ذلك من فنون الكلام البليغ، لم تصمد أو تظهر محاسنها في إنشاء العبارة البليغة المؤثّرة -وإن كانت لديهم ملكة وقريحة في نظم الكلمة والعبارة التي تفصح عن نفسها في قوّتها وجزالتها -أمام النص القرآني البليغ المحكم الذي سحر العقول والقلوب بجماله وروعته المتناهية، وليس هناك من تفسير سوى أنّه كتاب منزل من الله العزيز الحكيم الذي أتقن كلّ شيء صنعه، وحتّى المخلوقات الأخرى التي لانعرف كنهها وماهيتها، مثل الجنّ الذين حجب الله رؤيتهم وإدراكهم وملاقاتهم بالجنس البشريّ، انبهروا بالقرآن الكريم، وبما جاء فيه، وتعجّب نفر منهم كما ذكرت السورة المسمّاة باسمهم، وربّما كانت هناك أشياء أخر أدركها عقلاء الجنّ ولم نفهمها نحن، وقد أشار الخالق جلّ وعلا لنفر من هؤلاء بمحكم كتابه في أوّل سورة الجنّ بقوله ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ فسرى هذا الكلام الرفيع في أوساط المخلوقات التي لانعرف أعدادها ولا أسرارها، فالله تعالى أنشأ من غير بني آدم خلقا لانعلم الشيء الكثير عن هذا الخلق، ولكنّ الوحي أخبر بأنّ هذا القرآن النازل إلى بني آدم قد أثّر في طائفة من مخلوقاته تعالى وأبهرها وأعجبها، وفي هذا تعريض وتذكير للإنسان لأن يلتفت إلى أسرار هذا الكتاب وعظمته. وربّما حدّث فصحاء العرب وبلغاؤهم أنفسهم -مع ماوجدوا في ملكتهم من طاقة وقدرة في الإنشاء -في أن يأتوا بشيء يسير من نحو هذا الكلام الرفيع، ولكن لم تتمكّن هذه القدرة لديهم من أن تقترب أو تشاكل أو تضارع أيّا كان من التعبير القرآني البليغ، والذي فاق وتحدّى أيّ نصّ أو تعبير آخر أنشأه مبدع بشريّ. وهذا ماسمّي في اصطلاحات الباحثين بالمعجز أو المعجزة[٢] الذي لايمكن الإتيان به. وفي كلام أورده النيسابوري

(٢) التعجيز في اللغة: هو التثبيط، والنسبة إلى العجز، ومعجزة النبيّ ﷺ: ما أعجز به الخصم عند التحدّي، والهاء للمبالغة. القاموس المحيط ٢: ٢٩٠ (فصل العين).

المفسّر بهذا الشأن يقول: إنّ فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات، كبعير أو فرس أو جارية أو ملك أو ضربة أو طعنة أو وصف حرب، وليس في القرآن من هذه الأشياء مقدار كثير. إنّه تعالى راعى طريق الصدق، وتبرّأ من الكذب، وقد قيل: إنّ أحسن الشعر أكذبه، ولهذا فإنّ لبيد بن ربيعة وحسّان بن ثابت -لمّا أسلما وتركا سلوك سبيل الكذب والتخيّل -ركّ شعرهما. إنّ الكلام الفصيح والشعر الفصيح إنّما يتّفق في بيت أو بيتين من قصيدة، والقرآن كلّه فصيح بكلّ جزء منه. إنّ الشاعر الفصيح إذا كرر كلامه لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الأوّل، وكلّ مكرر في القرآن فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة. إنّه قصر على إيجاب العبادات وتحريم المنكرات والحثّ على مكارم الأخلاق والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، ولايخفى ضيق عطن البلاغة في هذه الموادّ. إنّهم قالوا: إنّ شعر إمرئ القيس يحسن في وصف النساء وصفة الخيل، وشعر النابغة عند الحرب، وشعر الأعشى عند الطرب و وصف الخمر، وشعر زهير عند الرغبة والرجاء، والقرآن جاء فصيحا في كلّ فنّ من فنون الكلام[٣] ولاريب في أنّ القرآن قد حيّر علماءهم، فهم لم يستطيعوا أن ينكروه، لأنّ له وقعا في القلوب، وتأثيرا في النفوس عند سماعه، وصعب عليهم أن يعترفوا به لتمسّكهم بعقائدهم وعاداتهم التي جاء القرآن لتغييرها، ولهدايتهم. فعند نزوله توهّم أرباب الفصاحة منهم لما وجدوا فيه من بعض أساليبهم في الشعر والسجع، فوصفوه بالشعر، والرسول بالشاعر، كما وصفوه بالكاهن، فهم ماثلوا بينه وبين ماعرفوه من الشعر والكهانة لما وجدوا فيه مايشبه قوافي الشعر، كما سمعوا الإيقاع والانسجام والتناسق في عباراته، لكن كبار قريش أدركوا أنّ كلام الوحي يختلف عن الشعر والكهانة لديهم، وصارحوا قومهم بما أحسّوا بسماعه، كما كان لعتبة بن ربيعة حين أنصت لقراءة آيات من القرآن، فبهت وعاد إلى قومه يقول لهم: سمعت قولا ما سمعت بمثله قطّ، وما هو بالشعر

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١: ٢٠٣.

ولا السحر ولا الكهانة..[٤] ومن هنا أدرك العرب -وهم كارهون -أنّ التعبير القرآني معجزة آخر مبعوث سماوي الى الأرض، الذي حمل هذه النصوص وقرأها على مسامع أمّة عرفت بأنّها أمّة الأدب والفصاحة، ولم تجد قبائل العرب التي أنجبت الشعراء والخطباء والبلغاء شخصا تناهت إليه الفصاحة والبلاغة غير فتى قريش، وبتعبيرهم الذي انحدر إليهم من القرشيين أنفسهم: يتيم قريش[٥] وهو الرسول العربّي القرشّي محمد بن عبد الله الأمين المصطفى ﷺ، الذي اختاره الله لرسالته فأنزل عليه كتابه المجيد، هذا الكتاب الذي تكاملت به فنون الأدب والبلاغةوعلوم اللسان التي عرفتها الأمم والشعوب ومنهم العرب، وبه كان هذا النبيّ ﷺ يتحدّى العرب ويفحمهم ويحاججهم، ومن خطابهم كان يتحرّك و ينطلق نحو الأمم والجماعات الأخرى، وامتدّ التبشير بهذا الخطاب المعجز لأزمان لم يشهدها العرب ومن عاصرهم من أمم وشعوب، فهو خطاب مازال في غضاضته وقوّته وروعتهالباهرة، فالقرآن معجزة باقية متجدّدة لم تختصّ بزمان معيّن، ولا تختصّ بقوم دون قوم، ولا أمّة دون أخرى، وقد أكمل المصطفى ﷺ هذا البيان القرآني الرائع بفصاحته المشهورة، وقد عبّر عن هذا بقوله: ((أنا أعرب العرب)) و((أنا أفصح العرب))[٦] ولو قايسنا وقارنا نصوص الحديث النبوي مع النصّ القرآني لوجدنا أنّ النصّين يتقاربان ويتماثلان في الموضوع والأفكار، وكأنّ النصّين يعطيانك نتيجة واحدة[٧] وهذا التكامل المشاهد بين النصّين -القرآني والنبويّ -جاء

(٤) الدكتور زهير غازي زاهد، ملامح من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، مجلة المصباح الصادرة عن الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، العدد الثالث عشر ربيع (٢٠١٣م -١٤٣٤ للهجرة) ص١٦٠.

(٥) روى الشيخ الصدوق بإسناده عن عبد الله بن عبّاس أنّه قال: إنّما سمّي محمّد ﷺ يتيما لأنّه لم يكن له نظير على وجه الأرض من الأوّلين والآخرين. علل الشرائع ١٣٠.

(٦) ينظر كنز العمّال ١١: ٤٠٢، الاختصاص للمفيد ١٨٧، بحار الأنوار ١٧: ١٥٨.

(٧) عادل البدري، فصاحة الرسول المصطفى وبلاغته ١٠٣.

نتيجة الفصاحة المتناهية والبيان الرائع الرفيع الذي امتاز به النبيّ ﷺ عن بقيّة العباد، وقد علل الباحثون هذه الفصاحة والبلاغة الرائعة لديه بعوامل منها:

١. النسب، وهو انتماؤه إلى قبيلة قريش التي عرفت بالفصاحة والسيادة، بيد أنّ لغة قريش كانت أوسع وأشمل وأفصح من لغات سائر القبائل العربيّة، وكذا هي الأعرف من بينها، من جرّاء محورية البيت الحرام، وقصد العرب له من كلّ الأرجاء لزيارة البيت.

٢. النشأة في بني سعد، وهم من العرب الفصحاء الذين يرجع نسبهم إلى النبيّ إسماعيل عليه السلام الذي كان أوّل من فتق لسانه بالعربيّة، كما هو منقول.

٣. الرضاعة في بني زُهرة، وهم بيت عرف بالفصاحة.

٤. ترعرعه في حجر حليمة السعدية.

٥. نزول القرآن بلسانه.

٦. المؤدّب له هو الله تعالى.

٧. مقوّمات اللغة العربيّة باعتبار أنّ لها قابليّة للتوسّع والاشتقاق، ممّا يتيح لطلاّب الفصاحة في القول إبراز مهاراتهم وقدراتهم البيانيّة..[٨] وقد كان الإمام عليّ عليه السلام واحدا من الذين أبرزوا مهارتهم وقدرتهم الفائقة في صنع الكلام الرفيع و البيان البديع، والذي عرف به العرب من بين الأمم، وكلامه عليه السلام حاز المرتبة العليا من بين روائع التراث العربي، والذي مازال يتداوله الأدباء كأرفع كلام وأروعه، وقد تفاعلت نصوص الكتاب الكريم في روح عليّ عليه السلام، وتلاحمت مع كلامه. وكيف لا يكون هذا!. وقد تشرّب عليّ عليه السلام بحبّ الكتاب فتأثّر بهذا الخطاب السماوي الثقيل، فملأ كيانه بلغة التنزيل، وظهر ذلك في علمه وفقهه، وصارت لغته عليه السلام صنوا للغة الكتاب، وشعاعا من شعاعه، فيلمس من فهم نصوص القرآن، وإدراك بعض أسراره

(٨) ينظر عبّاس تبريزيان، أسماء الرسول المصطفى، موسوعة الرسول المصطفى ١: ٢٥٢.

أنّ طائفة من معاني القرآن وبيانه قد توزّعت في فقرات من خطب عليّ عليه السلام وكلامه البليغ، فكأنّه ينتزع من جواهر الكتاب لآلئ يطرّز بها منسوج كلامه، فهو عليه السلام مع القرآن، ومن القرآن ومن صنيع القرآن.

وقد روى الشيخ الطوسي بإسناده إلى أمّ سلمة أنّها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لايفترقان حتّى يردا عليّ الحوض[٩] وروى المحدّث محمّد بن مسعود بن عيّاش السلميّ عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: مانزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أقرأنيها وأملاها عليّ، فأكتبها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله لي أن يعلّمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولاعلماً أملاه عليَّ، فكتبته منذ دعا لي بما دعا، وما ترك شيئا علّمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولانهي، كان أولا يكون، من طاعة أو معصية، إلاّ علّمنيه وحفظته، فلم أنس منه حرفا واحدا. ثمّ وضع يده على صدري، ودعا الله أن يملأ قلبي علما وفهما وحكمة ونورا، لم أنس شيئا، ولم يفتني شئ لم أكتبه، فقلت: يارسول الله، أو تخوّفت عليّ النسيان فيما بعد؟. فقال: لست أتخوّف عليك نسيانا ولا جهلا، وقد أخبرني ربّي أنّه استجاب لي فيك، وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يارسول الله، ومن شركائي من بعدي؟. قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبي، فقال: الأوصياء منّي إلى أن يردوا عليّ الحوض، كلّهم هاد مهتد، لايضرّهم من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم..[١٠].

وهذا التلازم الذي ذكرناه بين عليّ عليه السلام والكتاب المنزل من الله تعالى، جعل النصوص العلويّة ترتفع إلى

(٩) أمالي الطوسي ٤٦٠ الرقم ١٠٢٧/ ٣٣.

(١٠) تفسير العيّاشي ١: ١٤ ح ٢.

مصاف كلام الله وكلام النبيّ محمدﷺ في روعتها وسموّها وعلوّ بيانها، ومع هذا البيان الرائع الذي عرفته العرب للكتاب العزيز، و للنبيّ المبعوث الذي جاء به وخاطبهمﷺ به، وأقرّته أئمّة الأدب والبيان، في أرض العرب أو خارجها، إلاّ أنّها لم تنكر أو تتغاضى عن الفصاحة المتناهية المشاهدة في البيان والكلام العلوي الرفيع، والذي ورثه عليّ عليه السلام من قومه وأرومته بوصفهم أفصح العرب، وزاد من فصاحته وبلاغته أنّه تأثّر بملازمته ومدارسته للكتاب العزيز، وتعلّمه وتتلمذه على يدي النبيﷺ الذي علّمه مفاتيح العلوم وفتح له من أبوابها، فتمازج وتماهى عاملان انصبّا في فصاحته وبيانه الخلاّب، فتشظّى من نورهما قبس من بيانين ومصدرين عظيمين، هما القرآن الكريم والحديث النبويّ، تجلّى في نصوص فقأت عيون البلاغة والبيان في ماضي الزمان وحاضره. فعبّرت جموع البلغاء والخطباء عن إعجابها وخضوعها للخطاب العلويّ الذي بهر الألباب وأثار إعجاب عقلائهم وحسّادهم، فهم مذعنون له بذلك، ولاشكّ في الفصاحة العالية التي يلمسها المتلقّي في النصوص العلوية التي حملتها لنا ذاكرة التاريخ، والتي دوّن بعضا من هذه النصوص الشريفة أبو الحسن محمد بن الحسين الرضيّ المتوفّى ٤٠٦ للهجرة، وقد فرغ الرضي من جمع هذه النصوص في رجب من سنة أربعمائة للهجرة، ووضع لها تسمية ((نهج البلاغة)) هذا وقد وصف الشريف الرضي صاحب هذه النصوص، وهو الإمام عليّ عليه السلام[١١]

(١١) لقد ظهر شئ غريب على لسان بعض الباحثين بأنّ نهج البلاغة من كلام الشريف الرضي، وليس من كلام الإمام علي عليه السلام، وإنّما نسبه الرضي لعليّ عليه السلام لكي يروج، و لكي تقبله المجامع الأدبية والعلمية. ولايمكن قبول ذلك بأي تعليل كان، لأنّ البلاغة والفصاحة المتناهية التي جاءت بها نصوص نهج البلاغة لايمكن للرضي أوغيره أن يسطرها، أو حتّى يقاربها نحتا ومعنى. وربّما كان تعبير الأديب سليمان كتّاني بهذا الخصوص جوابا كافيا لهم حين قال: ونهج البلاغة سواء أكان صقل حروفه على يد ابن أبي=

بالقول: إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشيء البلاغة ومولّدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه عليه السلام أخذت قوانينها، وعلى أمثلتها حذا كلّ قائل وخطيب، وبكلامه استعان كلّ واعظ بليغ. ومع ذلك فقد سبق وقصروا، وقد تقدّم وتأخّروا، لأنّ كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبويّ(١٢) وتصدّى عدد من أدباء اللغة العربيّة للتعبير والكشف عن سرّ هذه الفصاحة، ومنهم عبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلي الذي قال: اعلم أننا لايتخالجنا الشكّ في أنّه عليه السلام أفصح من كلّ ناطق بلغة العرب من الأوّلين والآخرين، إلاّ من كلام الله سبحانه، وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لأنّ فضيلة الخطيب والكاتب في خطابته وكتابته تعتمد على أمرين، هما: مفردات الألفاظ ومركّباتها. أمّا المفردات فأن تكون سهلة سلسة غير وحشيّة ولامعقّدة، وألفاظه عليه السلام كلّها كذلك، فأمّا المركّبات فحسن المعنى وسرعة وصوله إلى الأفهام، واشتماله على الصفات التي باعتبارها فضّل بعض الكلام على بعض، وتلك الصفات هي الصناعة التي سمّاها المتأخّرون البديع، من المقابلة والمطابقة، وحسن التقسيم، وردّ آخر الكلام على صدره، والترصيع، والتسهيم، والتوشيح، والمماثلة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة والتكافؤ، والتسميط والمشاكلة. ولاشبهة في أنّ هذه الصفات كلّها موجودة في خطبه وكتبه، مبثوثة متفرّقة في فرش كلامه عليه السلام، وليس يوجد هذان الأمران في كلام أحد غيره، فإن كان قد تعلّمها وفكّر فيها، وأعمل رويته في رصفها ونثرها، فلقد أتى بالعجب العجاب، ووجب أن يكون إمام الناس كلّهم في ذلك، لأنّه ابتكره ولم يعرف من قبله وإن كان اقتضبها

=طالب -وهو الأصوب -أم كان على يدي مقحم فنّان، فإنّه يبقى دائما تعبيرا عميق البلاغة عن نفسية رجل واحد سمّي عليّ بن أبي طالب. الإمام عليّ عليه السلام (نبراس ومتراس ١٩٠).

(١٢) شرح نهج البلاغة الميسّر ١٢.

ابتداء، وفاضت على لسانه مرتجلة، وجاش بها طبعه بديهة، من غير رويّة ولا اعتمال، فأعجب وأعجب!وعلى كلا الأمرين فلقد جاء مجلّيا والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره. وبحقّ ما قال معاوية لمحفن الضبّي -لمّا قال له: جئتك من عند أعيا الناس -يا ابن اللخناء، ألعليّ تقول هذا؟. وهل سنّ الفصاحة غيره!.[١٣] وقد وصف الشيخ محمّد تقي التستري كتاب النهج بالقول: وبعد، فإنّ علماء الإسلام الخاصّ منهم والعامّ، وإن صنّفوا من الصدر الأوّل في كلّ فنّ إلاّ أنّه لم يؤلّف أحد مثل كتاب الشريف الرضيّ هذا، فإنّ أهمّية كلّ كتاب بمقدار فائدته، وقيمته بقدر عائديته، ولم يبلغ بكتابه هذا بعد كتاب الله تعالى كتاب، فإنّه تاليه في الفصاحة والبلاغة، وفي الاشتمال على كلّ نصح وحكمة، ولقد أجاد من قال فيه:

كتابٌ كأنّ اللهَ رصّع لفظَهُ

بجوهرِ آياتِ الكتاب المنزّلِ

حوى حِكَماً كالدرّ ينطِق صادقاً

فلا فرق إلاّ أنّه غيرُ منزلِ[١٤]

فلا غرابة في أن تجد كلام عليّ عليه السلام معروفا ومتداولا لدى أنصاره وأعدائه، فكانت نصوص نهج البلاغة حاضرة في محافل الأدب ودواوين الشعر، ومجالس الخلفاء ودواوينهم على مرّ العصور، ولذا يمكن لنا أن نقول: لا حاجة للتعريف بهذه النصوص، فهي نصوص قائمة بنفسها.

وكما تقدّم القول بأنّه يعود ويرجع هذا السموّ في النصّ والخطاب العلويّ أساسا إلى تأثّر الإمام عليّ عليه السلام بالنصّ القرآني وامتثاله في قريحته، ومن ثمّ انعكاسه في تراكيب كلامه وجمله التي وصلت إلى أذهان السامعين فتناقلوها كنصوص عالية في فصاحتها وروعتها وجمالها، حتّى أنّ الشريف الرضي الذي طرّز كتابه الرائع العظيم نهج البلاغة، بهذه الروائع من نصوص اللغة العربية المكتنزة، قد اكتسب شهرته وخلوده من

(١٣) شرح نهج البلاغة ٦: ٢٧٨.

(١٤) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ١: ١٧ مقدّمة المؤلّف.

هذا الكلام الذي انتخبه من درر كلامه وعواليه، وقد جمعه من مصادر موثوقة شتّى، و مازال يتجدّد ذكراه مع إيراد هذه الروائع في فنون الكلام المختلفة، بفضل هذه النصوص العالية المباركة، والتي عدّت من أعلى وأرفع ما روي عن العرب من درر الكلام والخطب والحكم. و هذه النصوص التي بهرت المتلقّين امتشجت مع نصوص قرآنية، وكأنّها كانت صدى لها، أو تأثّرت بها فجذبتها وانجذبت معها، فانعكست برشاقتها وإشراقها في نفس عليّ عليه السلام وروحه، وانتظمت في بديع كلامه عليه السلام من جديد بثوب قشيب نضيد.

طائفة من الألفاظ القرآنية في منظوم الكلام العلوي

دخلت الألفاظ والتعابير القرآنية في بنية كلام الناطقين بالضاد من عصر التشريع إلى وقتنا الحاضر، وهناك ألفاظ قرآنية مختلفة تداولها الأدباء والشعراء بدراية وفنّ جميل، لكنّها على العموم جاءت بجمال ونسق أدنى ممّا جاء في منظوم كلام عليّ عليه السلام، ومن هذه الألفاظ القرآنية، على سبيل المثال: العذب والأجاج والبرزخ والفرات والحِجر التي جاءت في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [سورة الفرقان: ٥٣] والعذب هنا ضدّ الملح، وكلّ مستساغ من طعام أو شراب(١٥) وقال الخليل: عذب الماء عذوبة فهو عذب طيّب(١٦) وقد انعكس هذا اللفظ في كتاب كتبه إلى معاوية بن أبي سفيان يصف فيه إيذاء قريش لبني هاشم بقوله: ومنعونا العذب وأحلسونا الخوف(١٧) وأحلسونا الخوف، جاء من قولهم: استحلس فلان الخوف، إذا لم يفارقه الخوف ولم يأمن. مأخوذ من الحِلس، بكسر الحاء وإسكان اللام أو بفتحهما، وهو ماولي ظهر البعير والدابّة تحت الرحل والقتب والسرج، ويقال لبساط البيت: الحلس، بكسرها أيضا، وقولهم: فلان حلس بيته، إذا لم

(١٥) ترتيب جمهرة اللغة ٢: ٥١٣ (عذب).
(١٦) العين ٢: ١٠٢ باب العين والدال والباء معهما.
(١٧) نهج البلاغة ٣٦٨ كتاب رقم ٩.

يبرحه على المثل[١٨] واستعار عليّ عليه السلام العذب الفرات لمصادر العلم الربّاني واليقين الوجداني للمتقّين الذين آمنوا واهتدوا بهدى الإيمان في قوله عليه السلام: وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده[١٩] قال ابن ميثم: شبّه العلوم والكمالات النفسانيّة التي تفاض على العارف بالماء الزلال، فاستعار له لفظ العذوبة، ورشّح تلك الاستعارة بذكر الارتواء[٢٠] وأمّا ما جاء في قول عليّ عليه السلام: اعذبوا عن النساء ما استطعتم. فمعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلب بهنّ، وامتنعوا من المقاربة لهنّ، لأنّ ذلك يفتّ في عضد الحميّة، ويقدح في معاقد العزيمة، ويكسر عن العدوّ، ويلفت عن الإبعاد في الغزو. وكلّ من امتنع من شئ فقد عذب عنه. والعاذب والعذوب: الممتنع من الأكل والشرب، كما فسّره الرضي[٢١] وقال ابن دريد: أعذب عن الشئ، إذا امتنع منه. وفي الحديث ((فأعذبوا عن النساء)) أي امتنعوا عن ذكرهنّ. وبات الرجل عاذبا وعذوبا، إذا كان ممتنعا عن النوم جائعا[٢٢] والأجاج في قوله تعالى جاء بمعنى الماء المرّ الملح، والشديد الملوحة والمرارة مثل ماء البحر[٢٣] وانعكس في وصف عليّ عليه السلام للأولياء الراغبين في الله بقوله عليه السلام: وشملتهم الذلّة فهم في بحر أجاج[٢٤] والبرزخ جاء في الآية بمعنى الحاجز بين الشيئين. وهو من وقت الموت إلى القيامة أيضا، ومن مات دخله[٢٥] وكلّ فصل بين شيئين برزخ[٢٦] ومن هذا جاء قوله تعالى ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٠] أي حاجز بين الموت والبعث إلى يوم القيامة من القبور. وقيل: هو حاجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا[٢٧]

(١٨) ينظر لسان العرب ٦: ٥٤ و ٥٥ (حلس).
(١٩) نهج البلاغة ١١٨ ضمن خطبة ٨٧.
(٢٠) شرح نهج البلاغة ٢: ٢٩١.
(٢١) نهج البلاغة ٥١٩ فصل في غريب كلامه عليه السلام المحتاج إلى التفسير الرقم ٧.
(٢٢) ترتيب جمهرة اللغة ٢: ٥١٣ (عذب).
(٢٣) العين ٦: ١٩٨.
(٢٤) نهج البلاغة ٧٥ ضمن خطبة ٣٢.
(٢٥) القاموس المحيط ١: ٣٥٤ (البرزخ).
(٢٦) تفسير التبيان ٧: ٣٩٤.
(٢٧) ينظر ترتيب جمهرة اللغة ١: ١١٩ (برزخ).

وإليه أشار عليّ عليه السلام بقوله: سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سُلِّطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم[٢٨] وكأنّ قوله عليه السلام في بطون البرزخ هو كناية عن حفر المقابر والأرماس[٢٩] وقال ابن ميثم: بطون البرزخ: ماغاب وبَطَن منه من علومنا ومشاهداتنا[٣٠] والحجر المحجور في الآية بمعنى الحرام، وهو يرجع إلى معنى قوله تعالى المتقدّم في الآية ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[سورة الفرقان: ٢٢] قال ابن دريد: وفي التنزيل ﴿ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ أي حراما محرّما[٣١] وقال الزمخشريّ: جاءت الصفة في وصف الحجر بالمحجور لتأكيد معنى الحجر، كما قالوا: ذيل ذائل، وموت مائت[٣٢] وقال ابن معصوم المدنيّ في معنى الآية: أي بين البحرين حائلا من قدرته، وحدّا محدودا -لايفسد أحدهما الآخر- وتنافرا شديدا، كأنّ كلاّ منهما يقول للآخر: جعل الله عليك ممازجتي حراما محرّما، كما كان يقوله الرجل في الجاهليّة إذا لقي من يخافه[٣٣].

وعبّر القرآن الكريم عن القلوب القاسية العاصية والممتنعة عن الهدى والصلاح بالحجارة، بل جعل بعض الحجارة لها من الإحساس والخشوع لعظمة الله ماليس لقلوب المنافقين والكافرين، كما جاء في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ٧٤] تعريضا بالمنافقين الذين استحالت أفئدتهم إلى حجارة

(٢٨) نهج البلاغة ٢٣٨ ضمن خطبة ٢٢١.
(٢٩) قال ابن دريد: الرَمس: مصدر رمسته أرمُسه رمسا، إذا دفنته، وبه سمّيت الرياح روامس، لأنّها ترمس الآثار، أي تدفنها. ثـمّ كثر ذلـك في كلامهم فسمّي القبر رمسا، والجمع أرماس ورموس. ترتيب جمهرة اللغة ٢: ٨٢ (رمس).
(٣٠) شرح نهج البلاغة ٤: ٦١.
(٣١) ترتيب جمهرة اللغة ١: ٣٦١ (حجر).
(٣٢) الكشّاف ٣: ٢٧٤.
(٣٣) الطراز الأوّل والكناز لما عليه من لغة العرب المعوّل ٧: ٢٥٨ (حجر).

صلدة لاحياة ولاشعور ينبض فيها. والحجر: هو الصخرة، والجمع في القلّة أحجار، وفي الكثرة حجارة. وألحقوا الهاء فيها لتأنيث الجمع، كما ذهب إليه سيبويه في البعولة والفحولة. وقال الجوهريّ: حجر وحجارة، كقولك: جمل وجمالة، وذكر وذكارة. ويقال في المجاز: رمي فلان بحجر الأرض، إذا رمي بداهية من الرجال. وفي حديث الأحنف بن قيس أنّه قال لعليّ عليه السلام حين سمّى معاوية أحد الحكمين عمرو بن العاص: إنّك قد رُميت بحجر الأرض، فاجعل معه ابن عبّاس فإنّه لايعقد عقدة إلاّ حلّها. أي بداهية عظيمة تثبت ثبوت الحجر في الأرض[٣٤].

ومن هذه المفردات القرآنية التي انعكست في كلام علي عليه السلام: الريش الذي جاء في قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾[سورة الأعراف: ٢٦] وبعض القرّاء قرأ قوله تعالى في هذه الآية ((رياشا)) بدل ((ريشا))[٣٥] قال الفرّاء: إن شئت جعلت رياش جميعا واحده الريش، وإن شئت جعلت الرياش مصدرا في معنى الريش، كما يقال: لبس ولباس[٣٦] وقال الفيروز ابادي: الريش، بالكسر، للطير، كالراش ج: أرياش ورياش، واللباس الفاخر، كالرياش، كاللبس واللباس، والخصب والمعاش. وأعطاه مئة بريشها، أي بلباسها وأحلاسها، أو لأنّ الملوك كانوا إذا حبوا حباء، جعلوا في أسنمة الإبل ريش النعامة، ليعرف أنّه حباء الملك[٣٧] والريش في قول الزمخشري هو: لباس الزينة، استعير من معنى ريش الطير، لأنّه لباسه وزينته[٣٨] وقد جاء هذا اللفظ في خطبة عليّ عليه السلام بقوله: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقّت لكم

(٣٤) لسان العرب ٤: ١٦٥ (حجر).

(٣٥) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ٣: ٢٧٠١.

(٣٦) معاني القرآن ١: ٣٧٥.

(٣٧) القاموس المحيط ٢: ٤٢٥ فصل الراء.

(٣٨) الكشّاف ٢: ٩٧.

الآجال، وألبسكم الرياش[٣٩] ولفظ الأمثال ونحوه في قوله عليه السلام قد ورد في اللفظ القرآني في موارد عديدة كقوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣] وكقوله ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ [سورة محمّد: ٣] وكقوله ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٥٧] وكقوله ﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة الزخرف: ٨] وكقوله ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [سورة الجمعة: ٥] وكقوله ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤١] وكقوله ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [سورة الروم: ٢٨] وغير ذلك من آيات كريمة. والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله[٤٠] وأصل المثل، محرّكة: الحجّة والحديث[٤١].

والمثل والأمثال الذي جاء في الآية والنصّ العلوي يختلف في بلاغته وتعبيره عن المثلات التي جاءت في قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة الرعد: ٦].

وكلمة المثلات فيها قراءات، فينقل العكبريّ بأنّ بعضهم قرأ بضمتين للحرف الأوّل والثاني، وبعضهم قرأ بضمّ الأوّل وإسكان الثاني[٤٢] ويروي الفراء عن قبيلة تميم بأنّها تقول: المثلات، بتسكين الثاء[٤٣] وذكر الزمخشري قراءة ثالثة لها فيها، بفتح الأوّل وضمّ الثاني[٤٤] وبهذه القراءة الثالثة ضبط الرواة والمصححون النصّ الوارد في قول عليّ عليه السلام في خطبته بعد انصرافه من صفّين: واحتجاجا

(٣٩) نهج البلاغة ١٠٧ ضمن خطبة ٨٣.
(٤٠) لسان العرب ١١: ٦١١ (مثل).
(٤١) القاموس المحيط ٣: ٦١٣ فصل الميم.
(٤٢) إملاء ما منّ به الرحمن ٢: ٦١.
(٤٣) معاني القرآن ٢: ٥٩.
(٤٤) الكشّاف ٢: ٥١٤.

بالبيّنات، وتحذيرا بالآيات، وتخويفا بالمثلات[٤٥] وقوله عليه السلام أيضا من هذا المعنى: وكيف محق من محق بالمثلات[٤٦] والمثلات واحدها مثلة بفتح الميم وضمّ الثاء، وقالوا: مثلة بضمّ الميم وإسكان الثاء: وهو التنكيل[٤٧] وقال الطبرسي: المثلات، أي العقوبات التي يقع بها الاعتبار. وقيل: هي العقوبة الفاضحة اتي تسير بها الأمثال[٤٨] ولهذا قيل: كأنّ المثل مأخوذ من المثَل، لأنّه إذا شنّع في عقوبته جعله مثلا وعلماً[٤٩].

والإملاق في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[سورة الأنعام: ١٥١] بمعنى قلّة ذات اليد. ورجل ملق: ضعيف، ومملق: فقير، والمصدر الإملاق[٥٠] وحكى النقّاش عن مؤرّج أنّه قال: الإملاق الجوع بلغة لخم.

وذكر منذر بن سعيد أنّ الإملاق: الإنفاق، يقال: أملق ماله بمعنى: أنفقه[٥١] وأصل الإملاق الإنفاق، يقال: أملق مامعه إملاقا، وملقه ملقا، إذا أخرجه من يده ولم يحبسه، والفقر تابع لذلك، فاستعملوا لفظ السبب موضع السبب حتّى صار به أشهر[٥٢] ومنه جاء قول عليّ عليه السلام: إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة[٥٣] والملَق: التضرّع والطلب[٥٤] ومنه يفسّر قول علي عليه السلام: الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق[٥٥].

والنُّصْبُ الذي جاء في قوله تعالى ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [سورة ص: ٤١] هو بمعنى الداء والبلاء[٥٦] وقرئ بضمّ النون وفتحها مع سكون الصاد، وبفتحهما، وضمّهما. قال الزمخشري: فالنُصب بضمّ النون

(٤٥) نهج البلاغة ٤٦ ضمن خطبة ٢.
(٤٦) نهج البلاغة ٢٠٤ ضمن خطبة ١٤٧.
(٤٧) ترتيب جمهرة اللغة ٣: ٣١٥ (مثل).
(٤٨) مجمع البيان ٣: ٢٧٨.
(٤٩) لسان العرب ١١: ٦١٥ (مثل).
(٥٠) ترتيب جمهرة اللغة ٣: ٣٦٩ (ملق).
(٥١) تفسير القرطبي ٣: ٢٦٥١.
(٥٢) لسان العرب ١٠: ٣٤٨ (ملق).
(٥٣) نهج البلاغة ٥١٣ حكمة ٢٥٨.
(٥٤) ترتيب جمهرة اللغة ٣: ٣٦٩ (ملق).
(٥٥) نهج البلاغة ٥٣٥ ح ٣٤٧.
(٥٦) القاموس المحيط ١: ١٧٧.

والنصب بفتح النون، كالرُشد والرشَد، والنصب بفتح النون والصاد على أصل المصدر[٥٧] ومنه جاء حديث عليّ عليه السلام: فاتّقوا الله عباد الله تقيّة ذي لبّ شغل التفكّر قلبه، وأنصب الخوف بدنه[٥٨] قال ابن دريد: النصب: تغيّر الحال من مرض أو تعب، يقال: أنصبه المرض ونصبه، لغتان، وأنصبه أعلى، وكذلك الحزن إذا أثّر فيه[٥٩].

وأمّا ما جاء في قوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [سورة الشرح: ٧ -٨] فالمعنى: انصب إلى ربّك في الدعاء، وارغب إليه في المسألة. وقال الصادق عليه السلام: هو الدعاء في دبر الصلاة وأنت جالس. وقيل: معناه إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل. وقيل: فانصب فيما رغّبك الله فيه من الأعمال[٦٠] ومن هذا جاء وصف عليّ عليه السلام للعبد الصالح: قد نصب نفسه لله -سبحانه- في أرفع الأمور، من إصدار كلّ وارد عليه، وتصيير كلّ فرع إلى أصله[٦١] قال ابن ميثم البحراني: أي لمّا كمل في ذاته نصب نفسه لأرفع الأمور، من هداية الخلق، وإفادتهم لقوانين طريق الله، فصار كالمصباح يقتبس منه أنوار العلم، فهو لكونه متلبّسا بها (خ: مليّا بها) قايم بإصدار الأجوبة عن كلّ ماورد عليه من الأسئلة التي استبهم أمرها على الأذهان، وافٍ بردّ كلّ فرع من فروع العلم إلى أصله المتشعّب عنه[٦٢] والرَغب والرُغب والرَغَب والرغبة: الضراعة والمسألة[٦٣] وإليها أشار عليّ عليه السلام في قوله: والرغبة مفتاح النَصَب، ومطيّة التعب[٦٤] وقولهم: رغّبه: أعطاه مارغب، وأرغبني في الشئ ورغّبني بمعنى. والرغيبة من العطاء: الكثير[٦٥] ومن هذا جاء قول

(٥٧) الكشّاف ٤: ٩٧.
(٥٨) نهج البلاغة ١١١ ضمن خطبة ٨٣.
(٥٩) ترتيب جمهرة اللغة ٣: ٤٣٤ (نصب).
(٦٠) مجمع البيان ٥: ٥٠٩.
(٦١) نهج البلاغة ١١٨ ضمن خطبة ٨٧.
(٦٢) شرح النهج ٢: ٢٩٤.
(٦٣) لسان العرب ١: ٤٢٢ (رغب).
(٦٤) نهج البلاغة ٥٤٠ ح ٣٧١.
(٦٥) لسان العرب ١: ٤٢٢ (رغب).

عليّ: ولا فيما رغّبت رغبوا[٦٦].

وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [سورة الطارق: ٩] انعكس في قول عليّ عليه السلام: قد انجابت السرائر لأهل البصائر[٦٧] وقوله: الأقاويل محفوظة، والسرائر مبلوّة[٦٨] والسّر المراد هنا: مايكتم، كالسريرة، والجمع أسرار وسرائر[٦٩] وقال الليث: السرّ ما أسررت به. والسريرة: عمل السرّ من خير أو شرّ[٧٠] وفسّر ابن ميثم البحراني في شرحه لنهج البلاغة السرائر بما أضمر في القلوب من العقائد والنيّات[٧١] وروي عن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذه السرائر التي تبلى بها العباد في الآخرة؟. فقال: سرائركم هي أعمالكم من الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والغسل من الجنابة، لأنّ الأعمال كلّها سرائر خفيّة[٧٢].

والشحّ في قوله تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩][٧٣] جاء بمعنى البخل والحرص. والمشاحّة: الضنّة، وتشاحّا على الأمر، لايريدان أن يفوتهما، و تشاحّ القوم في الأمر، شحّ بعضهم على بعض حذر فوته [٧٤]ومن هذا جاء قول عليّ عليه السلام: وتشاحّوا على الحرام[٧٥] ومنه كتب عليه السلام إلى مالك الأشتر في وصف التجّار: أنّ في كثير منهم ضيقا فاحشا، وشحّا قبيحا[٧٦].

وقال ابن معصوم المدني: الشحّ، بالضمّ ويكسر، وقرئبهما: البخل، أو مع حرص، أو لؤم النفس وانقباضها عن المعروف، وحرصها عن المنع، وأمّا البخل فهو المنع نفسه[٧٧].

وطحاها في قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [سورة

(٦٦) نهج البلاغة ١٥٩ ضمن خطبة ١٠٩.
(٦٧) نهج البلاغة: ١٥٦ ضمن خطبة ١٠٨.
(٦٨) نهج البلاغة ٥٣٥ حكمة ٣٤٣.
(٦٩) القاموس المحيط ٢: ١٠٩ فصل السين.
(٧٠) لسان العرب ٤: ٣٥٧ (سرر).
(٧١) شرح النهج ٥: ٤١٠.
(٧٢) مجمع البيان ٥: ٤٧١.
(٧٣) [سورة التغابن: ١٦].
(٧٤) القاموس المحيط ١: ٣١٦ فصل الشين.
(٧٥) نهج البلاغة ٢٠١ ضمن خطبة ١٤٤.
(٧٦) نهج البلاغة ٤٣٨ كتاب رقم ٥٣.
(٧٧) الطراز الأوّل والكناز لما عليه من لغة العرب المعوّل ٤: ٣٧٨ فصل الشين.

الشمس: ٥ -٦] أي: خلقها.

وعن ابن عبّاس: طحاها: قسمها[٧٨] وعن ابن عبّاس أيضا: بسطها على الماء[٧٩].

وجاء في خطبة لعليّ عليه السلام: وأشهد أن لا إله إلاّ الله، الذي رفع السماء فبناها، وسطح الأرض فطحاها[٨٠].

والطحو، كالدحو: وهو البسط، وفيه لغتان، طحا يطحو وطحا يطحى[٨١].

واللغب في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[سورة ق: ٣٨] جاء بمعنى الإعياء[٨٢] وقال ابن دريد: اللغب: التعب والإعياء، يقال: لغب يلغب لغبا بفتح اللام، ولغب لغوبا، بضمّ اللام، وهي أفصح اللغتين[٨٣] وقرأ السلميّ ((لغوب)) في قوله تعالى ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[سورة فاطر: ٣٥] بفتح اللام، كأنّه جعله مايلغب[٨٤] والفرق بين النَّصَب واللغوب أنّ النَّصَب التعب والمشقّة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له. وأمّا اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب، فا لنصب: نفس المشقّة والكلفة. واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة[٨٥] ومنه جاء كلام عليّ عليه السلام في وصيّة كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: ولا توكّل بها إلاّ ناصحا شفيقا وأمينا حفيظا، غير معنّف ولا مجحف، ولا ملغب ولا متعب[٨٦].

والوَرِق في قوله تعالى ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [سورة الكهف: ١٩] بمعنى الدراهم والفضّة، وقال أبو عبيدة: الوَرِق الفضّة، اذا كانت مضروبة كدراهم أو لا. وقيل: الذهب والفضّة. وقالوا:

(٧٨) صحيفة علّي بن أبي طلحة ٥٣٤.
(٧٩) تنوير المقباس ٥١٢.
(٨٠) أمالي الطوسي ٦٨٤ الرقم ١٤٥٦/ ٩.
(٨١) لسان العرب ١٥: ٤ (طحا).
(٨٢) العين ٤: ٤٢١ باب الغين واللام والباء معهما.
(٨٣) ترتيب جمهرة اللغة ٣: ٢٨٧ (لغب).
(٨٤) معاني القرآن للفرّاء ٢: ٣٧٠.
(٨٥) الكشّاف ٣: ٦١٤.
(٨٦) نهج البلاغة ٣٨١ ضمن وصيّة رقم ٢٥.

الورق: المال الناطق كلّه[٨٧] وقال ابن دريد: والورق: الدراهم بعينها، وربّما جمعت فقيل: أوراق[٨٨] وقرأ حمزة وأبو عمرو وخلف وأبو بكر وروح ((بِوَرْقِكم)) بإسكان الراء، وقرأ الباقون بكسرها[٨٩] وقرأ الإمام عليّ عليه السلام ((بوارقكم)) بصيغة اسم الجمع، على زنة فاعل، في قوله تعالى هذا، والوارق على زنة فاعل جعله عليه السلام اسم جمع كباقر وجائل[٩٠].

ووصف عليّ عليه السلام البناء الفخم الذي بناه رجل من عمّاله بقوله: أَطْلَعَتِ الوَرِقُ رؤوسَها[٩١] في كناية جميلة عن الغنى.

(٨٧) لسان العرب ١٠: ٣٧٥ و ٣٧٨ (ورق).
(٨٨) ترتيب جمهرة اللغة ٣: ٥٨١ (ورق).
(٨٩) النشر في القراءات العشر ٢: ٣١٠.
(٩٠) الدكتور أنمار عبد الجبّار، الطواهر اللغوية في قراءة الإمام عليّ عليه السلام للقرآن الكريم، الجزء الثالث، مجلّة المصباح العدد الثالث، خريف ٢٠١٠ م ص٢١٦.
(٩١) نهج البلاغة ٥٣٧ ح ٣٥٥.

أهم المصادر والمراجع

- الاختصاص، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغدادي الملقّب بالشيخ المفيد المتوفّى ٤١٣ للهجرة، تحقيق علي أكبر غفّاري، منشورا ت مكتبة الزهراء قم ١٤٠٢ للهجرة.
- الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفّى ٤٦٠، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة –قم، الطبعة الأولى ١٤١٤ للهجرة.
- بهجة الخاطر ونزهة الناظر في الفروق اللغويّة والاصطلاحيّة، الشيخ يحيى بن حسين بن عشيرة البحراني، من أعلام القرن العاشر الهجري، تحقيق السيّد أمير رضا عسكري زاده، مجمع البحوث الإسلاميّة –مشهد، الطبعة الثانية ١٤٣٠ للهجرة.